وملكتها منا بعد الشهوات قال الامام رضي الله عنه وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من شي
اطول السجن احق من اللسان وقال علي بن بكار جعل الله لكل شي بابين وجعل للسان اربعة
ابواب فالشفتان مصراعان والاسنان مصراعان قال الشارح رضي الله عنه فقول عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه يشير الى ان السكوت من اهم ما يحتاج الانسان اليه وان اللسان
اولى بالسجن من كل جارحه ولذلك قال ابن بكار جعل الله لكل شي بابين وجعل للسان اربعة ابواب
الشفتان مصراعان والاسنان مصراعان فجعل كل درقه بابا ومقصوده ان الباب
يكون له مصراعان فكل شي يكفي حفظه باب واحد له مصراعان وجعل على اللسان بابان لكل
باب مصراعان فبهذا الاعتبار جعل على اللسان اربعة ابواب في مقصوده بابان وكلامه
تنبيه على ما اشار اليه ابن مسعود من انه احق بالسجن من غيره فان من كان اولى بالسجن كان اكد
الامر في حفظه خوفا من خروجه وقيل لبعض الرهبان ما جلوسك في هذه الصومعه
قال لست براهب وانما انا حارس كلب لساني سبع ضار ان اطلقته اذاني واذي الناس
قال الامام رضي الله عنه وقيل ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان يمسك في فيه حجرا كذا
وكذا سنة ليقل كلامه قال الشارح رضي الله عنه يعني ان حركته في فيه كلما تحرك ذكر بما جعله
له فيستدرك من زلل اللسان ويقوى تثبته فاذا كان هذا حذر الصديق سماه النبي
صلى الله عليه وسلم صديقا لمبالغته في الصدق في القول والعقل بالقلب واللسان
بفعل هذا خوفا من الزلل البعيد القليل النادر فكيف من يكون جريان الحق على لسانه نادرا
قال بعضهم لو كلف العبد شرا الكاغد الذي يكتب فيه زلله بلسانه لاسرع الى صمته
لكثرة ما يلزمه من ثمن ما تخرجه في ثمن الكاغد الذي يكتب فيه زلله قال الامام رضي الله
عنه وقيل ان ابا حمزه البغدادي رحمه الله كان حسن الكلام فهتف به هاتف تكلمت فاحسنت
بقي ان تسكت فتحسن فما تكلم بعد ذلك حتى مات ومات قريبا من هذه الحاله على راس
اسبوع اقل او اكثر قال الشارح رضي الله عنه الاحسان في العمل كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم في حديث جبريل الصحيح الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فمن احسن في كلامه على
وجه العباده لله متبريا من حوله وقوته ناظرا الى فضل الله عليه فاذا كانت هذه حالته في كلامه
قيل له انما بقي عليك ان يستوي حالك في سكونه مع حالك في كلامه في الاحسان فاحسانه في
السكوت ان لا يسكت عن حق اوجبه الله ويسكت عن كل ما حرمه الله عليه او كرهه له
لوجه الله ويكون في كل حالاته مستعينا بالله رائيا فضل الله فلما عمل فيه الخاطر سكت
الى ان مات هذا يدل على ان سكوته كان عنده افضل من كلامه ولعله لا يدوم عليه الى ان توفي
والا لو وجب عليه الكلام او ندب اليه لكان احسن من سكوته ولم يكن محسنا في سكوته قال
الامام رضي الله عنه وربما يكون السكوت يقع على المتكلم تاديبا له لانه اساء الادب في شكل الشبلي

رحمه

رحمه الله اذا قعد في حلقته ولا يسألونه يقول ووقع القول بما ظلموا وربما يقع السكوت
على المتكلم لان في القوم من هو اولى منه بالكلام سمعت ابن السماك ببغداد رحمه الله يقول
كان بين شاه الكرماني ويحيى بن معاذ صداقه فجمعهما بلد فكان شاه لا يحضر مجلسه فقيل
له في ذلك فقال الصواب هذا فما زالوا به حتى حضر يوما مجلسه وقعد ناحيه لا يشعر به يحيى بن معاذ
فلما اخذ يحيى في الكلام سكت ثم قال هاهنا من هو اولى بالكلام مني وارتج عليه فقال شاه الم اقل لكم
الصواب لا احضر مجلسه وربما يقع السكوت على المتكلم لحكمه في الحاضرين وهو انه يكون هناك
من ليس لسماع ذلك الكلام فيصون الله تعالى لسان المتكلم غيرة وصيانه لذلك الكلام عن غير
اهله قال الشارح رضي الله عنه وما ذكره الامام في هذه الحكايات تفصيل في اسباب السكوت
فمنه ما يقع ادبا للمتكلم وذلك انه اذا استرسل في الكلام وجرى على لسانه الحق والصواب وربما
التفت الى حسن حالته وكمال حكمته واضاف ذلك الى نفسه ونسي منة ربه فيؤدبه الحق سبحانه
على هذه الزله ويسلبه جميع ما هو فيه ويبقى لا يقدر ان يخبر كلمه واحده مما كان فيه
وقد يكون بسبب السكوت ان في مجلسه من هو احق منه بالتكلم فيما هو فيه فينبهه الحق تاديبا
ليحفظ على من في مجلسه ليعطيه حقه وينزله منزلته ويكون شغله منه لا محالة وقد
يكون سبب السكوت ان في المجلس من لا يستحق الحكمه التي يجريها الله تعالى على لسان المتكلم
فيحفظ الله المتكلم من ان يلقي الحكمه عند غير اهلها فيكون واضعا لها في غير موضعها
وظالما لها كما حكي عن عيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه انه قال لا تعطوا
الحكمه غير اهلها فتظلموها اي لا تحفظوها ولا تضيعوها مواضعها ولا تمنعوها اهلها
فتظلموهم اي تمنعوها المستحقها فيفوته الانتفاع بها قال الامام رضي الله عنه وربما
وربما كان بسبب السكوت الذي يقع على المتكلم ان بعض الحاضرين كان معلوم الله سبحانه من
حاله انه يسمع ذلك الكلام فيكون فتنة له اما لتوهمه انه وقته ولا يكون او لانه يحمل
نفسه ما لا يطيق فيه فيرحمه الله عز وجل بان يحفظ سمعه عن ذلك الكلام اما صيانه له او عصمه
عن غلطه وقال مشايخ هذه الطريقه ربما يكون السبب فيه حضور من ليس باهل السماع من الجن
اذ لا تخلوا مجالس القوم من حضور جماعه من الجن سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول اعتللت مره
بمرو فاشتقت ان ارجع الى نيسابور فرايت في المنام كان قائلا يقول لا يمكنك ان ترجع من هذا
البلد فان جماعه من الجن استحلوا الاملاء وتحضرون مجلسك فلاجلهم نحبسهم هاهنا
قال الشارح رضي الله عنه وقد يكون اسباب السكوت ان بعض السامعين لا يصلح
له سماع ما يجريه الله من الحكمه على لسان المتكلم ويكون ذلك من باب اللطف بالسامع والشفقه عليه
بحيث لو سمعه لثارت من قلبه احوال تكون سبب حزنه وهلاكه لضعفه عن حمل ما يرد
عليه وقد يكون ذلك لدفع الانس وقد يكون من الجن فان الجن صرح الكتاب والسنه بايمانهم قال الله تعالى

Copyright © King Saud University